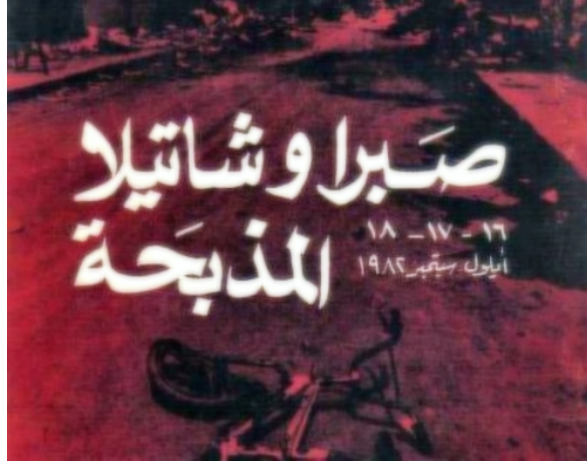


بسم الله الرحمن الرحيم

## مذبحة تحت المجهر

صبرا وشاتيلا.. من ذاكرة مسلسل الإبادة



المحتوى:

- ١- المذبحة.. بقلم نبيل شبيب، في ١ / ١٠ / ١٩٨٢م.
- ٢- صبرا وشاتيلا بعد خمسة وعشرين عاما بقلم د. بيان نويهض الحوت، نقلا عن جريدة السفير اللبنانية، يوم ١٣ / ٩ / ٢٠٠٧م.
- ٣- كاتب وكتاب: صبرا وشاتيلا، بقلم آمنون كابليوك، تعريف بقلم نبيل شبيب، من أيار/ مايو ١٩٨٣م.

## المذبحة

### لا تسقط المسؤولية عن الجريمة إلا بزوال الوضع الباطل الذي يجسد الجريمة

بقلم نبيل شبيب

مجلة الرائد/ تشرين أول/ أكتوبر ١٩٨٢م

لم تكن مذبحة صبرا وشاتيلا (١٦-١٨/٩/١٩٨٢م) حدثاً عابراً، ولا مجرد كارثة مروعة مفاجئة، بل كانت حلقة في سلسلة طويلة رهيبة، يجري تدبيرها وتنفيذها، حلقة بعد حلقة، وشعب فلسطين هو المقصود بالإبادة الجماعية، كما أنّ المقصود أن توأد معه إرادة العرب والمسلمين في كل مكان.

ولئن أشاح العرب والمسلمون أبصارهم عن بطون الحوامل التي بُقرت، وصدور الشيوخ والأطفال التي نُهشت، فذاك من هول منظر الوحوش المفترسة بعد سقوط الأئمة البشرية عن وجوهها.. ولئن أذهلتهم وحشية المذابح فترة من الزمن فيستحيل بقاؤهم في الذهول إلى الأبد..

إنّ الدماء التي أراقها وحوش المغول على دجلة ألهمت روح الجهاد بعد فترة من الزمن على ضفاف النيل فكانت عين جالوت.. وإنّ الدماء التي ملأ بها الصليبيون حرم المسجد الأقصى ألهمت روح الجهاد بعد فترة من الزمن فكانت حطّين وكان تحرير بيت المقدس..

وإنّ دماء المسلمين التي أريقت في صبرا وشاتيلا ومن قبل ومن بعد، في عشرات المذابح داخل الأرض المحتلة وحولها، ستلهب روح الجهاد لمعركة فاصلة.. فتلك من سنن الله التي لا تتبدّل ولا تتغيّر، وستدور الدائرة على أعداء الله وأعداء الإنسان والإنسانية.

### يوميات المذبحة - مقدمات المذبحة - بعد المذبحة - المسؤولية

#### يوميات المذبحة

١٩٨٢/٩/١م: انسحاب آخر مقاتل فلسطيني من بيروت الغربية

١٩٨٢/٩/٢م: بدء انسحاب القوّات الغربية المتعدّدة الجنسيات من المدينة

١٩٨٢/٩/٦م: مؤتمر قمة فاس للدول العربية يطرح المشروع السعودي من أجل "الصلح وتسوية سلمية"

١٩٨٢/٩/١٢م: وزير الدفاع الإسرائيلي شارون يبلغ رئيس الوزراء الإسرائيلي بيغن أنّ بشير جميل تعهّد له أن يقوم الجيش

النظامي اللبناني بـ"تطهير مخيمات بيروت الغربية" يوم ١٩٨٢/٩/٢٣م..

١٩٨٢/٩/١٣م: بشير جميل يكرّر رفضه عقد سلام منفرد مع "إسرائيل" أثناء الاحتلال ويطالب واشنطون بالضغط عليها..

١٩٨٢/٩/١٤م: مقتل بشير جميل في مقرّ قيادة حزبه وسط بيروت الشرقية

١٩٨٢/٩/١٥م:

الساعة (٥): القوّات الإسرائيلية تقتحم بيروت الغربية

الساعة (١٢): استكمال حلقة الحصار حول مخيمي صبرا وشاتيلا وبدء قذفهما بالمدفعية لمدة ٢٤ ساعة تالية..

بعد الظهر: شارون يجتمع مع بيّار جميل في بكفيا ويذكره بتعهّد بشير جميل قبل ٣ أيام، فيعرض عليه أن تقوم الكتايب بعملية

"تطهير المخيمات"..

١٩٨٢/٩/١٦م:

مراسل تليفزيوني من ألمانيا الغربية يصوّر سراً كيف يسوق الجنود الإسرائيليون مئات من الفلسطينيين إلى مقرّ القيادة العسكرية،

ثم لا يخرج منها سوى بضع عشرات خلال النهار

الساعة (١٥): قائد الأركان الإسرائيلي إيتان يسأل القائد العسكري الإسرائيلي في بيروت متى يمكن أن تبدأ الكتائب بالعملية فيجيبه: على الفور.

الساعة (١٥): هبوط طائرتي نقل من طراز هيركوليس ١٣٠ الأمريكي وإنزال جنود وسيارات جيب في مطار بيروت، حيث تجتمع حوالي ١٢٠٠-١٤٠٠ مسلح، يقول مراقبو الأمم المتحدة إنهم من ميليشيا سعد حداد

الساعة (١٧): وصول دفعة من قوات الكتائب إلى المطار واستلام خرائط وصور جوية لمخيمي صبرا وشاتيلا من الإسرائيليين، وانطلاق المسلحين المتجمعين في المطار منه باتجاه المخيمين

الساعة (١٧:٣٠): نصب مركز القيادة الميدانية للكتائب قرب مبنى السفارة الكويتية في غرب بيروت، وعلى بعد ٢٠٠ متر يقوم المبنى المرتفع المشرف على مجموع مخيم شاتيلا، والذي جعلته القوات الإسرائيلية مقراً لقيادتها العامة الساعة (١٨): بدء المذبحة

الساعة (١٩): بدء وصول عدد من الفارين من المذبحة إلى "مستشفى غزة"، ومنهم الطفل ميلاد فاروق الذي كان في الحادية عشرة من عمره، وكان يتحدث عن مقتل أبيه وأمه وإخوته الثلاثة..

الساعة (٢٣): قائد العملية الكتائبية يبلغ القيادة العسكرية عن مقتل ٣٠٠ "إرهابي ومدني" حتى ذلك الوقت..

١٩٨٢/٩/١٧ م: (في الفجر): الناجون من المخيمين يطلبون من جنود إسرائيليين تبليغ قيادتهم بما يجري، وتكرّر القيادة أمرها إلى الجنود بعدم دخول المخيمين

الساعة (٩): مسلحون يقتحمون مستشفى غزة ويقتلون أطباء وجرحي فلسطينيين، ويغتصبون ممرضات فلسطينيات ثم يقتلونهن حتى الساعة (١٦:٣٠): استمرار المذبحة رغم الاتصالات الجارية بسببها مع المسؤولين الإسرائيليين، ورؤية عدد من الصحفيين والديبلوماسيين ما يجري في المخيمين

الساعة (١٦:٣٠): اتفاق إسرائيلي-كتائبية على تأجيل "استكمال عملية التطهير" إلى اليوم التالي

الساعة (١٩): مراسل نيوزويك الأمريكية يتسلل ويرى المذبحة مستمرة

الساعة (١٩): هروب ٣٠٠٠ فلسطيني كانوا قد لجؤوا إلى مستشفى غزة الذي امتلأ بالجثث والقتلى

الساعة (٢٠): السفير التونسي في واشنطن، يتصل بوزير الخارجية الأمريكي بناء على طلب منظمة التحرير الفلسطينية، ويأتي الجواب "أنّ ديبلوماسيا أميركيا كان في المخيم في الساعة ١٣ من اليوم نفسه، وهو اليوم الثاني للمذبحة، ولم يكن يجري أي شيء!.."

طوال الليل إلى اليوم التالي: كان "الذبح" مستمرا كما يذكر شهود عيان لاحقا لمسؤولين ووسائل الإعلام.. ١٩٨٢/٩/١٨ م:

الساعة (٧): احتلال مستشفى غزة نهائيا واعتقال من بقي فيه حيا من الفلسطينيين المصابين وغير المصابين، وسوفهم إلى مخيم شاتيلا حيث كان النساء والأطفال أرتالا مصفوفة على الجدران -كما يروي الأطباء الأجانب- ولم يُعرف مصيرهم بعد ذلك.

الساعة (١٠:٣٠): الترخيص للصحفيين الأجانب بدخول المخيمين

الساعة (٢٢): الرئيس الأمريكي ريجان يطلب من "إسرائيل" الانسحاب من بيروت!..

١٩٨٢/٩/١٩ م: مجلس الأمن الدولي يدين المذبحة

١٩٨٢/٩/٢٢ م: مؤتمر وزراء الخارجية العرب يدين "إسرائيل" ويحمل واشنطن "المسؤولية الأدبية"، ويرفض طلب منظمة التحرير الفلسطينية اتخاذ إجراءات مقاطعة ما ضدها.

١٩٨٢/٩/٢٩ م: جنود البحرية الأمريكية يدخلون بيروت مع انسحاب القوات الإسرائيلية منها بعد "حملات تطهير واعتقال شاملة" .. وريجان يعلن استمرار التحالف مع "إسرائيل" ممتدحا "روح الدولة اليهودية".

إذا أراد العرب والمسلمون الذاهلون الذين لا يكادون يصدّقون بوقوع ما وقع في بيروت..

إذا أراد العرب والمسلمون الحيارى أمام مواقف المسؤولين في بلادهم تجاه ما وقع في بيروت..

إذا أراد العرب والمسلمون المحترقة صدورهم حنقا وغيظا، المغلولة أيديهم عن القتال، المقيدة أقدامهم حتى عن مجرد التظاهر انتصارا لدم بريء يُسْفِك، وأعراض طاهرة تُنتهك، ومقدّسات تستباح في أرضهم المباركة المحتلّة..

إذا أراد العرب والمسلمون معرفة الأسباب.. فليُنظروا فيما سبق المذبحة، وسيعلمون أنّ ذلك من المسؤول، وأين مكنم الداء، وعساهم يجدون سبيل الخلاص..

١- لقد احتلّ اليهود أرضا فلسطينية عام ١٩٤٨م نتيجة مؤامرة عالمية ومحليّة، التقت فيها الجهود الاستعمارية مع المصالح الشيوعية ومع عدد من الحكام المحليين الذين سجّل التاريخ صنيعهم في صفحة سوداء.. ومضوا إلى حسابهم بين يدي الله عزّ وجلّ..

٢- ومضى الذين خلفوا هؤلاء في السلطة على النهج القديم بإخراج جديد، وتشعبت بهم السبل بين تقدّمين ورجعيين، واشتراكيين ورأسماليين، وشرقيين وغربيين.. فساقوا الشعوب في أكبر حملة تضليل تزيّف إرادتها، حتى كانت الكارثة الثانية عام ١٩٦٧م، وانهارت وأزلت آثار كلّ ما سمّوه منجزات ومكاسب كبرى، فلم يبق سوى "آثار العدوان"!!..

٣- وبدأت مرحلة الإعداد للسلام الاستسلامي صبيحة الكارثة، بإخراج جديد أيضا، فإذا الذين تجاهلوا وجود العمل الفدائي ولاحقوه من قبل، يعطونه مركز الصدارة فجأة.. سياسيا (ممثّل شرعي وحيدا!)، ولكن يصنعون هم ما يشاؤون.. واقعيا، ثمّ يوجّهون له الضربات بكل سبيل وفي كلّ أرض.. عسكريا، وقد أنشؤوا في الوقت نفسه منظّمات "نبئت كالفطر" مرتبطة بالأنظمة، ليضرب بعضها بعضا، ثمّ ليضربوها جميعا من بعد، مستهدفين استئصال العمل الفدائي كلّ.. ومهدّوا لذلك بعملية غسيل دماغ جماعية إعلامية، بعد أن استنفذ "احتضان" العمل الفدائي شكلياً أغراضه، وهذا شيئا من نقمة الشعوب على من صنعوا النكبة الأولى فالثانية.. وما زالوا في السلطة!..

٤- وكانت المرحلة التالية مع حرب "العبور".. ولكن إلى الصلح، وحرب "التحرير".. دون "الحاجز النفسي" المانع من الصلح، وإذا بالجوقة التي كانت تملأ الدنيا صراخا بقدرتنا على تحرير الأرض المغتصبة بين ليلة وضحاها، يملونها صراخا بعجزنا "الأبدي" عن مجرّد مواجهة المزيد من اغتصاب الأراضي وتشريد الأهل..

٥- وفي لبنان المجاور.. بقي ذلك المقاتل الفلسطيني المتمرّد، رافضا إسقاط البندقية من يده، وهم يلوون عنقه صوب الشرق بدعوى الحصول على "الدعم والسلاح".. وصوب الغرب بدعوى الحصول على "الدعم والسلام"!!.. وإذ لم تسقط البندقية من يد المقاتل جاء غزو لبنان "المنتظر" لإسقاطها في بحر الدماء، ثمّ جاءت المذبحة لتقول للمقاتل الفلسطيني.. ولسائر العرب والمسلمين:

- لن يقاتل هؤلاء المسؤولون ولو سُفكت دماء الملايين من الفلسطينيين "الأشقاء" ومن يقف معهم..

- ولن تتخلّى أمريكا عن "إسرائيل" مهما لوثت دماء ضحايا مذابحها قاعات البيت الأبيض نفسه.. أو ملأته الثروات "العربية" بأموال العلاقات التجارية "الوديّة"!!..

- ولن يتحرّك العالم ويتصرّف وإن أبيد هذا الشعب عن بكرة أبيه، ما دام يأبى العيش خانعا تحت أقدام ذبّاحيه معترفا بسيادتهم عليه داخل أرضه..

- وإن مليارا من العرب والمسلمين.. عاجزون، بانشغال كل منهم بقضية، دامية في وطنه، أو مأساوية في بيته، أو غوغائية تلهيه عن نفسه ومستقبله.. وجميعهم محجور عليه الكلام، إلا من أتقن اللغة الأمريكية.. أو اللغة السوفييتية!..

- إنّ مذبحة صبرا وشاتيلا ليست حدثا عابرا ولا مجرد كارثة مروّعة مفاجئة، بل هي مقصودة بحدّ ذاتها على طريق مسلسل الإبادة والترويع.. لنشر روح اليأس على أوسع نطاق، ومتابعة مسلسل الإبادة والترويع والهيمنة.. دون مقاومة، وهذا ما لا ينبغي أن يتحقّق بحال من الأحوال..

بعد المذبحة

من أوضاع بلادنا ما كان ينكشف بوقوع انقلاب عسكري، يسميه منقذوه "ثورة" أو "انتفاضة" أو "حركة تصحيحية" أو ما شاؤوا من التسميات، ويفضحون مساوئ من سبقهم في السلطة والتسلط، ليسوّغوا صنيعهم هم للناس، والناسُ بين مصدّق ومكذّب.. فنادرا ما كان عهد انقلابي جديد أفضل من عهد سابق باند!..

ومن أوضاع بلادنا ما كان ينكشف في هزيمة عسكرية، سيان هل سماها صانعوها "نكسة" أو "نكبة" أو "نصرا"، أو ما شاؤوا من التسميات، فالحصيلة واحدة مهما تحدثوا عن أسباب أدت إلى وقوع ما وقع، فهم صانعوا أسبابها كما أنهم صانعوا أحداثها، لا تواري ذلك تعليقاتهم للناس، والناسُ بين مصدّق ومكذّب، إذ لا يرون بعد الهزيمة جهدا حقيقيا لإزالة أسبابها، لا الحقيقية ولا المزعومة، إنّما يرون جهودا كبيرة تُبدل من أجل منع حدوث "تبدل في الأوضاع المخزية القائمة المنطوية على تلك الأسباب.. ومن أوضاع بلادنا ما كان ولا يزال ينكشف من خلال فضائح سياسية ومالية، وكوارث اقتصادية واجتماعية، ولكنّ كثرة هذه الفضائح والكوارث وتواليها، جعل صانعيها قادرين على تصويرها، وكأنّها من "الأمر الاعتيادية"، أو من "الأقدار المحتومة"، فهم لا يحاولون إخفاءها ولا تسويغها ولا يعبّؤون بمشاعر الناس الذين يرونها ويعانون منها، وجلّ ما يصنعون يتركز على بعض التزييف للأرقام والتفاصيل، على قدر ما يحتاج إليه وضع قناع رقيق على فساد عريض.. ولكنّ الدم الذي أهرق في مذبحه صبرا وشاتيلا بأيد أئمة، كشف حقيقة الأوضاع القائمة في بلادنا، بلا رتوش، وبما لا يدع مجالا للحيرة بين تصديق وتكذيب، وما لا يسمح بإمكانية تغطية وتمويه، أو إنكار وتجاهل.. إنّها أوضاع فاسدة متردّية إلى الحضيض.. تتأرجح ما بين الخيانة العلنية والعجز المخزي.

وإنّ في عصرنا الذي نعيشه حكّاما سقطوا بسبب تجسّس بعض أجهزتهم على بعض المواطنين في دولتهم.. ومن سقطوا لانتهيار الوضع الاقتصادي في بلادهم..

ومن سقطوا بسبب تسلّل جاسوس أجنبي عميل إلى داخل جهاز حكمهم..

أمّا هؤلاء الذين يحكمون بلادنا، ولديهم مثل هذا كلّه ومزيد عليه، من هزائم.. ونكبات.. ونكسات.. ومذابح.. ومن تخلف..

وانحطاط.. وتأخّر.. وفقر.. ومرض.. فضلا عن "علنية" الارتباطات التبعية إلى درجة تجعل من الحديث عن "تسلّل الجواسيس" مهزلة، وعلنية وجود أجهزة مخابرات أجنبية معادية لها مكاتب "رسمية" بما يجعل مسألة "الالتهام بالخيانة" معضلة.. هؤلاء.. لا نستطيع الاستيعاب في أيّ عصر يعيشون!..

إنّ الدماء التي تسيل من مذبحه صبرا وشاتيلا وصلت إلى كراسيهم، فقد وقعت المذبحه هكذا على أعين الناظرين، في قلب عاصمة عربية وليس في جبال نائية، وبوحشية تعاف من نسبتها إليها الوحوش، وأمام أعينهم مشاهدها، وفي أذانهم صراخ ضحاياها، وفي وسائل إعلامهم يتبجّح بعض من ارتكبوها بما ارتكبه، ويشمت آخرون بكل وقاحة وشفافة.. ويشمئز من فظاعتها القريب والبعيد ممّن لا يزال فيهم قلوب تحسّ بإحساس إنساني ما!..

فكيف نستطيع استيعاب اكتفاء هؤلاء بإدانة لفظية، والاستمرار على ابتكار وسائل تسويغ الدعوات السلمية، وكأنّهم من عالم آخر وعصر آخر!..

إنّ الدم الذي أريق في صبرا وشاتيلا هو دم بعض من يحكمهم هؤلاء.. ويحملون هم المسؤولية عنهم وعن دمائهم..

وإنّ الذين يرون الأعراض تُنتهك في شوارع عاصمة دولة تنتسب إلى جامعة الدول العربية ومواثيق الدفاع المشتركة، ثمّ لا يجدون لأنفسهم موقفا إلا الإصرار بعد الإصرار والسعي بعد السعي وراء "سلام" مزعوم مع منتهكي الأعراض وسفاكي الدماء ومغتصبي الأرض ومستبجي الحرمات.. هؤلاء.. لا يمكن أن يعطوا للشعوب دروسا في "الموضوعية والمنهجية والسياسات الواقعية".. فلئن كانت تلك المواقف أمام المذابح، هي "الموضوعية والمنهجية والسياسات الواقعية"، فالأجدى بمن يريد أن يعيش حقا، وأن يعيش حرّا كريما، أن يدفنها مع جثث الضحايا قبل أن يصل إليه الذبح وهو يتحدّث عن "الموضوعية والمنهجية والسياسات الواقعية"!

هؤلاء يحملون المسؤولية عمّا جرى ويجري، فإمّا أن يواجهوا قضايا الأمة والبلاد مواجهة مسؤولين، أو أن ينتحوا عن المسؤولية.. فلا فرق ما بين اغتصاب الأرض بوجود مسؤول أو عدم وجوده ما دام لا يمنع اغتصابها، ولا فرق بين الذبح بوجوده أو عدم وجوده ما دام ينظر إلى السكين ولا يتحرّك!..

وما أقيح ما تردّد بعض الألسنة والأقلام المجبولة على النفاق، من أذار لعدم التنحّي عبر استبعاد وجود من يصلح للحكم.. إلّا من يصنع الهزائم ويعجز عن مواجهة المذابح، وكأنّما عقت الأمة عن إنجاب القادرين على الخروج من دائرة الاستبداد والقمع ودائرة الخضوع والصمت!..

إنّ بقاءهم بات مربوطا ربطا مباشرا بأنّهم هم المهيّؤون للتسليم تحت عنوان "سلام".. وقد يبلغ الإرهاب عبر الهزائم والمذابح والاستبداد مداه كما يخطّط له منقذوه، ثمّ ينعقد "سلام" بين القتلة وبين المنفردّين على القتل عجزا.. أو تواطؤا، ولكن لن يكون ولن يستقرّ "سلام" بين أمة تنزف جراحها وبين من لا تزال الخناجر في أيديهم.. ولا بين أمة من أبنائها الأيتام والأيامى والأرامل والثكالى، ومن أبنائها المشردّ والمستعمر والمضطهد والملاحق بالقتل والفتك في كل مكان، وبين من يصنع هذا كلّها بها وهو جاثم في أرضها مسيطر على مقدّساتها ويهدّد بصنع المزيد، سواء انعقد سلام أم لم ينعقد.

## المسؤولية

مهما أنكرنا على رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن ووزير دفاعه أرييل شارون من ميزات، فلا نستطيع أن ننكر عليهما عراقتهما في الإجمام، وانطباعهما عليه، وهيامهما به، وإبداعهما فيه..

مناحيم بيغن هو "بطل" مذبحه دير ياسين، التي ارتكبتها منظمة إرغون الصهيونية يوم ٩/٤/١٩٤٨م، وأبيد فيها سكان القرية جميعا بأبشع ألوان القتل والتمثيل بالجنث..

وأرييل شارون هو قائد الوحدة العسكرية رقم ١٠١ التي نسفت مساكن "قبيه" بالديناميت، وهدّمتها على رؤوس سكانها، فقتل منهم ستة وستين وأصاب خمسة وسبعين بجراح..

ومناحيم بيغن وأرييل شارون كانا -كما يبدو- فرسي رهان في مذابح لبنان ومذبحه صبرا وشاتيلا على وجه التخصيص.. ولكن هل المسؤولية هي مسؤوليتهما فقط كما تحاول أن تصوّر ذلك بعض الأقلام؟..

إنّ بيغن وشارون ما كانا يملكان ذلك أو يقدمان عليه أو ينجزانه لولا مساعدة المساعدين، وبمشاركة المشاركين، على صعيد التخطيط والتنفيذ، ولولا إقرار الأجهزة المختصة في الحكم والجيش، ومساندة الأكثرية في الكنيست ومن السكان.

وإنّ قبول غالبية اليهود لمذابح دير ياسين وقبيه وكفر قاسم وسواها، وحماسة كثيرين منهم لوحشية بيغن وشارون، هو ما رفع الأول بأصوات "الناخبين" إلى موقع رئاسة الوزراء والثاني إلى موقع وزارة الدفاع، ووضع بأيديهما المزيد من وسائل الفتك والقتل، ومهدّ لهما الطرق لما يقومان به من أعمال الإبادة والإجمام.

المسؤولية مسؤولية شاملة لا يُستثنى منها إلا من يعترضون علنا على الإجمام.. وهم قلّة، وهي أيضا مسؤولية عالمية، فلولا الولايات المتحدة الأمريكية والغرب معها، لما قامت "إسرائيل" ابتداء، ولما كان لها من البقاء والنماء والطغيان، ولما ملكت ما تملك من أسباب العدوان، ولا مارست ما تمارس من ألوان الإجمام المتجدّد عاما بعد عام.

ليست المسؤولية مسؤولية بيغن وشارون وحدهما، فإذا ذهب أمرها، وبُرئ المجرمون الآخرون، إنّما هي المسؤولية عن جريمة إيجاد كيان يمارس الجريمة، ودعّمه وهو يمارس الجريمة، ولا تسقط هذه المسؤولية إلا بزوال هذا الوضع الباطل الذي يجسّد الجريمة.

## (صبرا وشاتيلا) بعد خمسة وعشرين عاماً

### بقلم بيان نويهض الحوت

٢٠٠٧/٩م - نقلا عن جريدة السفير اللبنانية

بحث مطول نشر على حلقتي في جريدة (السفير) اللبنانية، بقلم الباحثة والأستاذة الجامعية الفلسطينية المقيمة في بيروت، د. بيان نويهض الحوت.

...

ضحايا المجازر لا يُقتلون، فقط، يوم يُقتلون، تلك هي المرة الأولى؛ إنهم يُقتلون في كل مرة تعجز فيها الأصوات الحرة عن الجهر بالحق والحقيقة، وعن إدانة القتل.. وتلك هي المأساة الكبرى، مأساة الضحايا الأحياء، الذين يحملون في ذاكرتهم، وفي وجدانهم، وفي عيونهم، رسالة ضحاياهم الراحلين .

### الموت يتكلم - غياهب النسيان - وتكلم الشهود - أرقام - فشلوا في قتل الإنسان

#### الموت يتكلم

مجزرة صبرا وشاتيلا ليست واحدة من أبشع مجازر القرن العشرين، فحسب، وليست مجرد رقم على لائحة المجازر الإسرائيلية ضد الفلسطينيين والعرب؛ سرها في أنها مأساة لم يُسدل الستار عليها بعد، وهو لن يُسدل ما دام الأحياء من أبنائها يعيشون كوابيسها، يتنقلون ويسافرون ويعملون ويتزوجون وينجبون، لكنهم -بوعي منهم أو بلا وعي- يكتشفون أن مجزرة صبرا وشاتيلا هي التي تقود حياتهم، بعد أن ظنوا أن بعض النجاح هنا أو هناك، أو أن الإقامة في بلد يبعد آلاف الأميال عن أرض المجزرة، قد تنسيهم عذاباتهم؛ هؤلاء هم الضحايا الأحياء.

كانت ساعة البداية في "صبرا وشاتيلا"، مع غروب يوم الخميس في السادس عشر من أيلول/سبتمبر سنة ١٩٨٢، وكانت النهاية - إن تكن للمجازر من نهاية- الساعة الواحدة في عزّ الظهيرة من يوم السبت في الثامن عشر من الشهر نفسه. وبلغت الساعات، فالمجزرة امتدت ثلاثاً وأربعين ساعة متواصلة.

كان ليل "صبرا وشاتيلا" قد تحول إلى نهار نتيجة الإنارة الإسرائيلية المتواصلة بالمدفعية وبالطائرات، كما تحول مخيمها وأحيائها الشعبية إلى "جزيرة" مستباحة لميليشيات "القوات اللبنانية" وغيرها من الأحزاب والميليشيات المؤازرة لها، وقد أحاط بهذه "الجزيرة" جيش الدفاع الإسرائيلي؛ غير أن عناصر هذا الجيش تصرفت وكأنها أشبه بعناصر فرقة مسرحية، تقوم بتنفيذ التعليمات التي تتلقاها صراحة أو ضمناً من المخرج أرييل شارون ومساعدته رفائيل إيتان، وملخص التعليمات أن عليها أن تحيط بمسرح شاتيلا من كل جانب وكل منفذ، وعلى سطوح كل بناء مرتفع، وأتة مهما حصل، فهي لا يجدر بها أن ترى، أو تسمع، أو تشهد!

كثيرون من الإسرائيليين المحاصرين كانوا يعلمون جيداً بما يجري من قتل للعائلات وللصغار ولل كبار، ومن عمليات تعذيب وخطف، ومن دفن للأحياء، ومن طمس لمعالم المجزرة بالبلدوزرات.. ومنهم من أرسل التقارير، غير أن التقارير لم تصل إلى

القادة العسكريين والسياسيين الكبار الذين يعرفون جيداً أحكام القوانين الدولية، فالمسؤولية الجنائية وفقاً لاتفاقية جنيف الرابعة (١٩٤٩)، والبروتوكول الأول (١٩٧٧)، تقع على عاتق المسؤولين المحتلين الذين يثبت أنهم كانوا يعلمون، أو أنهم كانوا يجب أن يعلموا، بأن هناك جرائم كانت ترتكب بشكل منظم، وبأنهم كانت لديهم السلطة للتدخل من أجل منع الممارسات الإجرامية. من مهازل التاريخ أن يصدق العالم أن قادة الجيش الإسرائيلي لم يكونوا على علم بما يجري، كما ورد في التقرير الإسرائيلي الرسمي (تقرير كاهان)، الصادر في شباط/ فبراير سنة ١٩٨٣ وهو التقرير الذي اشتهر بأنه رمز للديموقراطية في إسرائيل. اليوم.. وبعد خمسة وعشرين عاماً على مجزرة صبرا وشاتيلا لم يحاكم المجرمون القتلة الذين قاموا بارتكابها من عناصر الميليشيات اللبنانية، كذلك لم يحاكم أحد من الإسرائيليين الذين قاموا بحماية المجرمين القتلة وتسهيل مهماتهم!! غير أن أصحاب الضمان الحية، تكلموا.

في تاريخ المجازر يتكلم الموت أولاً، ثم يتكلم القتل، ثم يتكلم القاتل. وتكلم الموت أولاً.. تكلم طويلاً في مرحلة رفع الأنقاض والبحث عن الضحايا وأشلاء الضحايا، فمنذ منتصف يوم السبت في الثامن عشر من أيلول/ سبتمبر أصبحت "صبرا وشاتيلا" البقعة الأكثر شهرة في العالم، وراحت وسائل الإعلام العالمية تنقل المشاهد والتفاصيل والشهادات. في تلك الأيام لم يكن في استطاعة أحد أن يمنع أحداً من الكلام أو الصراخ أو البكاء الهستيرى، فمرحلة "المنع" و"القمع" تلت مرحلة انفضاض مسرح الجريمة من المراسلين والمصورين الأجانب، مباشرة.

### غياهب النسيان

غير أن الموت ما عاد هو الموت. والحياة ما عادت هي الحياة. كل شيء تغير. انتهت في منتصف الثمانينيات من مشروع التاريخ الشفهي، ومن مشروع الدراسة الميدانية، كذلك انتهت من جمع ما أمكن من وثائق، وخصوصاً لوائح الأسماء التي كانت من أولى المحرمات. لكنني ما أن انتهيت من ذلك حتى وجدت نفسي أكتفي بحفظ الملفات والأشرطة في أكثر من مكان، كي أعود إليها مستقبلاً، أو يعود إليها غيري. كنت أشعر وكأن مهمتي الرئيسية قد انتهت، وهي مهمة التوثيق.

غير أن "صبرا وشاتيلا" بقيت إلى جانبي، في أعماقي، في أيامي، وبقيت على تواصل مع أم علي، وأم زينب، وأم أحمد، وأم ماجد، وسهام، وخديجة، وأحمد، ومنير. لم تنقطع الزيارات، ولم تتباعد الذكريات. ومن خلال تواصلني مع الأحباء هؤلاء، ومع غيرهم، كنت أدرك جيداً أن "صبرا وشاتيلا" ما زالت تمشي وراء ماضيها، وقد تعيش أيامها، لكنها لا تحيا. لسنا في صدد الحديث عن العذابات التي عانى منها مخيم شاتيلا في الأيام الدامية المعروفة بـ "حرب المخيمات" ما بين سنتي ١٩٨٥ و١٩٨٧ ولا عن التحولات الديموغرافية التي أعقبتها، وخصوصاً بالنسبة إلى نزوح الفلسطينيين إما إلى مكان آخر في الداخل، حتى لو كان من "الحرش" المقابل لمستشفى عكا إلى قلب مخيم "شاتيلا"، أو إلى خارج لبنان كله، وخصوصاً نحو الدول الإسكندنافية.

قالوا إن الزمان تغير. وإن الحكم في لبنان تغير. وأقلقت صفحة "الحروب الداخلية"، أو "الحرب الأهلية"، أو "حروب الغير على أرضنا"، وأصبح لبنان منذ سنة ١٩٨٩ يعيش مرحلة ما بعد "الطائف"، وارتفع الشعار "عفا الله عما مضى".. أما بالنسبة إلى "صبرا وشاتيلا" فلم يكن هناك أي اعتراف بما جرى، كي يكون هناك عفو من الله سبحانه وتعالى، أو من عبيده المقهورين؛ ما كان هناك سوى الاستمرار في سياسة التعتيم، أو التجاهل في أحسن الحالات.

وهكذا استمرت غياهب النسيان تطوق المكان، وتقضي على حقوق الإنسان، حتى انتهى القرن العشرون أو كاد. غير أنه كان هناك بعض الأصوات الحرة التي تذكرت "صبرا وشاتيلا" بين سنة وأخرى، وكان من رموزها الطبيبة البريطانية سوي شاي آنج، ابنة سنغافورة، وهي التي عاشت أيام مستشفى غزة الصعبة، وأجرت آخر العمليات الجراحية حتى اقتحامه صباح اليوم الأخير؛ وهي الطبيبة التي أحبها الفلسطينيون كثيراً وأطلقوا عليها لقب "الدكتورة الصينية". ففي عز سنوات الصمت والنسيان، في سنة ١٩٨٩ أصدرت الدكتورة سوي كتابها الرائع من لندن بعنوان: "من بيروت إلى القدس". كذلك كان من رموز الأصوات الحرة، ومن لندن أيضاً، صوت روبرت فيسك في مقاله المدوي: "خمسة عشر عاماً بعد حمام الدم: العالم يدير ظهره".



## وتكلم الشهود

ثم كانت المفاجأة الكبرى.. في الذكرى الثامنة عشرة لصبرا وشاتيلا، في أيلول سنة ٢٠٠٠ فوجئت بيروت بقدم وفد إيطالي لإحياء ذكرى "صبرا وشاتيلا".

بلا مقدمات، وبلا سابق إنذار، هبط أعضاء الوفد في مطار بيروت الدولي، وراحوا يقابلون الرؤساء الثلاثة، والمسؤولين، ويزورون الأهالي المعذبين الذين راحوا يتحدثون من جديد عن ضحاياهم، عن مأساتهم، وعن حياتهم اليومية، وكان يكفيهم أن يستمع إليهم أعضاء الوفد ورئيسه ستيفانو شياريني، الكاتب اليساري التقدمي في صحيفة "إل مانيفستو". لم يحلم الضحايا الأحياء بأن الزيارة سوف تصبح تقليداً سنوياً، وبأن الأصدقاء الجدد، من كتاب وفنانين ونواب ومخرجين ومناضلين، من أمثال مونيكا ماوري، وستيفانيا ليميتي، وموريتسيو مسولينو، وأنا أسوما، لن يتخلوا عنهم.

على مدى الأعوام السبعة الماضية، تكررت الاحتفالات بذكرى صبرا وشاتيلا، وجاءت وفود أخرى كبرى من فرنسا، ومن إسبانيا، وجاء كثيرون من مناصري الحرية وحقوق الإنسان، من ألمانيا والسويد وبريطانيا والولايات المتحدة واليابان.. وما عادت مهمة الاحتفالات بحد ذاتها، ولا حتى المسيرات وإضاءة الشموع، فالمهم هو الشعار الذي تحول إلى نهج وبرامج عمل: "كي لا ننسى صبرا وشاتيلا"؛ أما الأكثر أهمية فهو الصداقات التي تجذرت، والمحبة التي تعمقت.

في سنة ٢٠٠١ تذكر التلفزيون البريطاني BBC "صبرا وشاتيلا" في برنامج "بانوراما"، وعرض فيلماً وثائقياً بامتياز، عنوانه: "المتهم"، وفيه وجه الاتهام إلى شارون. وبادرت صحيفة "لوموند ديبلوماتيك" الفرنسية بإرسال مندوب خاص من كبار مراسليها، بيير بان، لتغطية "صبرا وشاتيلا" في ذكراها العشرين، وصدر مقاله بعنوان: "عشرون عاماً بعد المذابح في صبرا وشاتيلا: الماضي يبقى دائماً حاضراً"، في أيلول سنة ٢٠٠٢ وتناقلت الصحف الأوروبية مقتطفات منه باللغات المتعددة. وفي السنة نفسها، أصدرت الكاتبة الإيطالية، وعضو الوفد الإيطالي لإحياء ذكرى صبرا وشاتيلا، ستيفانيا ليميتي، كتابها عن "مذبحة الفلسطينيين في صبرا وشاتيلا"، وتضمن مقالات لكتاب أحرار.

وأخيراً.. حملت بداية القرن الواحد والعشرين أملاً لأهالي الضحايا من خلال الدعوى التي رفعها ثلاثة وعشرون ناجياً وناجية من المجزرة ضد شارون وضد عاموس يارون وكل من يظهره التحقيق، بواسطة المحامين الثلاثة، شبلي الملاط المحامي اللبناني، ولوك والين وميشيل فيرهيغي المحامين البلجيكين، واستند المحامون إلى القانون البلجيكي الصادر سنة ١٩٩٣ والمعدل سنة ١٩٩٩ وهو القانون المتعلق بمعاينة الانتهاكات الخطرة للحقوق العالمية للإنسان؛ وتألقت في بيروت لجنة لمساندة الدعوى ضد شارون، برئاسة رفعت صدقي النمر، وبذل المحامون ورئيس اللجنة وأعضاؤها كل الجهود الممكنة، غير أن كل شيء توقف لأسباب تعود إلى صلاحية المحكمة، والضغط الأميركي والإسرائيلية التي تعرضت لها بلجيكا بسبب هذه الدعوى. وتبقى أهمية المحاولة في كونها فتحت الباب لمحاكمة دولية، في أي بلد على هذه الكرة الأرضية، تسمح قوانينه بذلك.

## أرقام

بعد عشرين سنة من الأيام الدامية الثلاثة كنت قد استكملت كتابة الفصول وإعداد الملاحق لكتابي: "صبرا وشاتيلا: أيلول ١٩٨٢"، وقامت بنشره "مؤسسة الدراسات الفلسطينية"، بالعربية، سنة ٢٠٠٣ و"بلوتو برس"، بالإنكليزية، سنة ٢٠٠٤. وإني لأعترف بأنه ما كان ممكناً لي أن أتصور طوال الأعوام السابقة بأن الكتاب سوف يُنجز، وبأن الحلم سوف يتحقق، وبأن الكتاب سوف يصدر. وما زالت ليالي الأرق، والعقبات التي ليس سهلاً إحصاؤها، تلاحقني.

والكتاب يجمع بين نهج التاريخ الشفهي ونهج الدراسة الميدانية والإحصائية، لكنه لعل من أهم ما تضمنته لوائح الأسماء التي تنشر لأول مرة، وهي تستند إلى سبع عشرة لائحة تنتمي إلى ثلاثة أنماط من اللوائح: اللوائح التي تم جمعها مباشرة على أرض المجزرة أو في المقابر؛ اللوائح التي جمعت في الأشهر التي تلت المجزرة؛ اللوائح من مصادر رسمية ودراسات ولجان قضائية حتى نهاية القرن العشرين؛ وقد بلغ مجموع الضحايا بالأسماء الموثقة ٩٠٦ ضحايا، و٤٨٤ مخطوفاً ومفقوداً. وهكذا، بلغ مجموع الأسماء ١٣٩٠ اسماً لضحايا شهداء، ولمخطوفين لم يعد منهم أحد، ولمفقودين لم يُعثر على أحد منهم. وهذا رقم يفوق إلى حد

الضعف تقريباً الرقم التقديري الذي تبناه تقرير كاهان استناداً إلى معلومات الجيش الإسرائيلي، وهو ما بين ٧٠٠ و ٨٠٠ ضحية. أما العدد التقديري فتوصلت إليه من خلال أكثر من منهج إحصائي وتحليلي، كان أبرزها التقدير العام لأعداد الضحايا استناداً إلى الأعداد المتداولة للذين دفنوا في المدافن، أو في القبور الجماعية، أو في حفر الموت، أو للذين قضوا تحت الأنقاض، وقد تم التوصل إلى أن الحد الأدنى للضحايا هو ٣٥٠٠ ضحية.

أما بالنسبة إلى ما جاء في "تقرير كاهان" بأن عدد النساء كان ١٥ أنثى فقط، فقد أثبتت الدراسة الميدانية أن عدد النساء كان أكثر من ربع الضحايا، كما أثبتت لائحة الأسماء الموحدة من مختلف المصادر وجود أكثر من مئتي أنثى، والعدد تحديداً ٢٠١. أما بالنسبة إلى عدد الأطفال الذين اكتفى تقرير كاهان بأنه ٢٠ طفلاً فقط، فقد أثبتت الدراسة الميدانية أن عدد الضحايا الأجنة التي لم تولد بعد، وعدد الضحايا الأطفال ما بين العام الأول والثاني عشر، بلغ ٩٥ ضحية من ٤٣٠ ضحية، أي بنسبة ٢٣٪ من مجموع الضحايا .

### فشلوا في قتل الإنسان

صحيح أن مرتكبي "صبرا وشاتيلا" نجحوا في قتل السكان، لكنهم فشلوا في قتل الإنسان. هذه السنة، في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٧ يغيب وجه المناضل الكبير ستيفانو شياريني عن الاحتفال بذكرى "صبرا وشاتيلا"، بعد أن اختطفه ملاك الموت فجأة، في الثالث من شباط/ فبراير ٢٠٠٧ وهو بين أسرته ومحبيه في مدينته التاريخية روما، وكان ممكناً أن يوافيه الأجل إما في الطائرة.. أو في بغداد.. أو في شاتيلا.. فهكذا عاش أعوامه الأخيرة.

لولا هذا الإنسان الكبير القلب، لما داعب الأمل الضحايا الأحياء بأنهم حقاً سوف يعودون إلى الحياة.

اليوم بعد خمسة وعشرين عاماً، ما زالت صبرا وشاتيلا تعاني، وتنتظر، وتحلم، وتستقبل الأصدقاء؛ ومن الأصدقاء الجدد المخرجة ديبى فاندن دنجن القادمة من فان كوفر الكندية، والتي تقوم بإخراج فيلم وثائقي عن "صبرا وشاتيلا" من خلال شهادة الممرضة إلين سيغل التي عاشت جرح صبرا وشاتيلا، وهي لما سألتها في إحدى رسائلها عن "صبرا وشاتيلا" بالنسبة إليها، أجابتنى من واشنطن في اليوم نفسه، عبر البريد الإلكتروني، وكانت رسالتها في الأول من تموز/ يوليو ٢٠٠٧:

(أنا أمازح الأصدقاء بقولي إن "صبرا وشاتيلا" مهنتي.

إنها شيء يبقى معي دائماً. ومن واجبي أن أحيي باستمرار حكاية المجزرة، ومحنة الفلسطينيين الأحياء. ويجب أن أعمل على تذكير الناس بدور إسرائيل.

في كل ذكرى سنوية أقوم بتذكير المؤسسات بهذا التاريخ ١٦ أيلول ١٩٨٢، إما للتوقف دقيقة صمت، وإما لمشاهدة فيلم... وفي يوم الغفران (يوم كيبور) أتلو صلاة خاصة داخل الكنيس من أجل الذين ماتوا... أنا أرى صبرا وشاتيلا أرضاً مقدسة، وأراها بقعة على هذه الأرض تتميز بخصوصية فائقة. إنها مكان يجعل المرء الذي يولد فيها يعتز لكونه قد ولد فيها. أنا عندما يشير إليّ الناس أقول لهم بأن هذه ليست حكايتي، بل حكاية الذين استشهدوا، والذين بقوا أحياء".

في تاريخ المجازر يتكلم الموت أولاً، ثم يتكلم القتيل، ثم يتكلم القاتل. لقد تكلم الموت، وتكلم القتيل. وتكلم الشهود. وما زال الضحايا الأحياء ينتظرون القاتل كي يتكلم.

## كاتب وكتاب.. أمنون كابلوك.. صبرا وشاتيلا

تحقيق حول المجزرة صدر بالفرنسية في ١١/١٩٨٢م وبالعربية في ١/١٩٨٣م

مجلة الرائد / أيار مايو ١٩٨٣م

من الكتب ما لا يفقد قيمته مع مرور الزمن، لا سيما تلك التي تؤرّخ لحدث يراد بكلّ الوسائل أن يطويه النسيان، لا سيما عندما يبلّغ بدماء المذابح الإجرامية، أيدي "سياسيين" لا ينقطعون عن مطالبة العالم بأسره ألا ينسى ما تعرّضوا هم له من "مذابح" مضى عليها عشرات السنين.

هي المذبحة التي ارتكبت أثناء الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان عام ١٩٨٢م، بقيادة أرييل شارون، وبعد أن حصلت الحكومة الإسرائيلية برئاسة مناحيم بيغن (الذي عقد اتفاقات كامب ديفيد مع السادات عام ١٩٧٨م) على الضوء الأخضر للغزو من جانب الحكومة الأمريكية.

والعودة إلى تلك المذبحة، تكشف عن تأصل ممارسة الإجرام بأشجع صورته، وتكشف عمّا يعنيه استمرار واشنطن على دعم "إسرائيل" قبل المذبحة وبعدها وحتى اليوم، ممّا يجعل أيّ حديث عن "وساطة نزيهة" ورغبة في "إحلال السلام" وعود ضبابية بدويلة فلسطينية ممسوخة مقيدة، حديثاً يستدعي السخرية المريرة أن يوجد من يتعامل معه حتى الآن. في الفقرات التالية حديث مفصّل عن المجزرة، وفيه صور بشعة، تجدد الإحساس بالألم، ولكن ينبغي أن تثير في الوقت نفسه الإحساس بالمسؤولية، وإدراك أنّ وقف مسلسل المذابح والنكبات لا يتحقّق دون تحويل مسيرة المقاومة في فلسطين والعراق وسواهما إلى نهج تتلاقى عليه سائر القوى المخلصة، وتواجه به العدوان المتجدّد والمستمرّ، في أكثر من بقعة وأكثر من ميدان في بلادنا وعلى حساب شعوبنا. والفقرات التالية منقولة عن كتاب، صدر ليوثق أيام المذبحة بعد أقل من عام من وقوعها، ولا يمكن التعريف به بكلمات، وهذا ما يدفع إلى أن يكون التعريف في شكل "اقتباسات" من فصوله.

### الكاتب والكتاب

جاء في التعريف بالكاتب على غلاف الكتاب:

عضو في هيئة تحرير مجلة "نيو أوت لوك" التي تصدر في تل أبيب، ومحرّر في جريدة "لوموند" الفرنسية، له كتاب بعنوان "إسرائيل.. نهاية الأوهام" صدر عام ١٩٧٥م، هزّته المجزرة، فتولّى التحقيق بنفسه في لبنان وفي "إسرائيل" في محاولة للردّ على ثلاثة أسئلة: من هم مرتكبو المجزرة؟.. ما هي مسؤولية "إسرائيل" في هذه الجريمة؟.. هل هي ردة فعل على اغتيال بشير الجميل، أم أنّها عملية مدبّرة ومقرّرة؟

فيما يلي مقتطفات من فصول الكتاب، تمّ اختيارها كنماذج تعطي فكرة عامّة عن المحتويات، ولا تغني عن قراءة الكتاب نفسه لمن يريد الاطلاع على الجوانب التي أراد المؤلف كشفها من المجزرة الرهيبة اطلّعا كافيا.

وإذ نتخلّى عن التعليق على نصوص تتحدّث عن نفسها بنفسها، لا تفوتنا ملاحظة أنّ الكاتب الذي أجاب -بمقدار- على الأسئلة الثلاثة المطروحة أعلاه، لم يطرح السؤال عن "حجم المسؤولية الأمريكية" من وراء ما حدث بمجموعه، ولا عن "ردود الفعل الأمريكية" والعربية على ما جرى، وبالتالي ليس في الكتاب إجابات ما على هذه الأسئلة التي تستحقّ بحثاً ذاتها تحقيقاً منهجياً.

الخميس ١٦ أيلول ١٩٨٢م

في ثلاثين ساعة أنجز الجيش الإسرائيلي مهمته وسيطر على بيروت الغربية كلها..

فجر اليوم استيقظ سكان المخيمين على هدير الطائرات المحلقة على ارتفاع منخفض، القوات الإسرائيلية تطوق المخيمين، رجال الفئاصة المتمركزون حول المخيم بدؤوا رمياتهم على أهدافهم في الشوارع الضيقة، وبعد قليل أخذت تنهال القنابل الآتية من التلال والمرتفعات المحيطة، وطول النهار ظلّ الجرحى يتوافدون إلى مستشفى غزّة حيث انكبّ الأطباء والمرضات على العمل دون انقطاع، وأرسل قسم من الجرحى إلى مستشفى المقاصد على بعد ٥٠٠ متر..

في هذه الأثناء انصرفت الميليشيات الكتائبية إلى إنجاز استعداداتها لاقتحام المخيمين، وبعد أن اتّصل إيتان بوزيره إيلي شارون، طلب الجنرال دروري أن يتحقّق بنفسه من أنّ الكتائبيين جاهزون..

عند الظهر استقبل الجنرال دروري في قيادته العامّة رئيس "القوات اللبنانية: فادي فرام، وسأله إذا كان رجاله على استعداد للدخول إلى صبرا وشاتيلا، فأجابته المسؤول الكتائبي: "نعم وحالا"، عندئذ أعطاه الضوء الأخضر..

والكتائبيون لم يحاولوا أبداً أن يخفوا عن الإسرائيليين عزمهم على تقتيل الفلسطينيين، والشهادات على ذلك كثيرة، وقد نشرت منها الكثير الصحافّة الإسرائيلية..

ويمكننا أن نقرأ في الصحيفة الاسبوعية "باماهانا" الناطقة بلسان الجيش الإسرائيلي، وبتاريخ الأول من أيلول/ سبتمبر ١٩٨٢ (أي قبل أسبوعين من المجازر) ما يلي: ضابط إسرائيلي كبير سمع العبارة التالية من فم ضابط كتائبي: "السؤال الذي نطرحه على أنفسنا هو: بماذا نبدأ، بالاعتصاب أم بالقتل؟.. ولو أنّ عند الفلسطينيين ذرّة من العقل لوجب عليهم أن يحاولوا أن يرحلوا عن بيروت، فأنتم لا تتصوّرون المجررة التي ستحلّ بالفلسطينيين، المدنّيين والإرهابيين، الذين سيقفون في المدينة.."

وتتطابق الشهادات حول هوية القتلة، إنهم بأكثرّيّتهم الساحقة عناصر من "القوات اللبنانية"، التي تتألف بشكل أساسي من ميليشيا حزب الكتائب، الحزب الذي أسسه بيار الجميل عام ١٩٣٦ بعد زيارة قام بها إلى ألمانيا، ومن ميليشيا النمر لحزب الوطنيين الأحرار بزعامة الرئيس السابق كميل شمعون، ومن مجموعة من المتطرّفين اليمينيين الذين أطلقوا على أنفسهم اسم "حراس الأرز" بزعامة إتيان صقر..

فيما بعد أصرّ السكان على التأكيد أنّ رجال سعد حدّاد اشتركوا هم أيضاً في المجررة، وقال السكان إنهم عرفوهم من شاراتهم ومن لهجتهم الجنوبية ومن أسمائهم..

بدأت المذبحة واستمرّت ٤٠ ساعة دون انقطاع، وتمكّن الإسرائيليون من مراقبة العمليات من سطوح (الطابق السابع) المباني الثلاثة لبيوت الضباط اللبنانيين، والتي يحتلونها من الثالث من أيلول/ سبتمبر، لا سيّما وأنهم مزوّدون بمناظير تقرب المسافات وتسمح بالرؤية في الظلام..

والحقيقة أنّهم لم يكونوا بحاجة إلى هذه الأجهزة المتطورة، لأنهم لا يبعدون ٣٠٠ متر عن المركز الرئيسيّ للمجازر.. ونستعير هنا تشبيها لضابط إسرائيلي كان على سطح إحدى البنايات الثلاث، قال: كنّا نرى كما يرى مشاهدو الصفّ الأول خشبة المسرح.. يقول الناجون من القتل إنّ المجررة اتخذت منذ اللحظة الأولى لبدايتها حجما كبيرا، ففي الساعات الأولى وحدها قتل الكتائبيون مئات الأشخاص، كانوا يطلقون النار على كلّ من يتحرّك، وكانوا يحطّمون أبواب البيوت، ويجهزون على عائلات بكاملها.. وأحيانا لم يكتفِ القتلة بالقتل، بل كانوا يقطعون أعضاء ضحاياهم قبل الإجهاز عليهم، ويحطّمون رؤوس الأطفال والرضع على الجدران، ويغتصبون النساء والفتيات الصغيرات قبل أن يحطّموهنّ بالفراغة..

وأحيانا كانوا يتركون واحدا من أفراد العائلة على قيد الحياة، ويقتلون الآخرين أمام عينيه ليذهب ويخبر بما عاش وشاهد..

في منطقة حرش ثابت قتلوا عائلة "المقداد" بكامل أفرادها عند بداية المجررة، فهذه العائلة اللبنانية.. يبلغ عدد أفرادها ٣٩ شخصا، قتلوهم كلّهم دون استثناء، ذبحوا البعض، وبقروا بطون البعض الآخر، وأطلقوا النار على الباقين، ومنهم زينب -٢٩ سنة- وهي في شهرها الثامن، قتلوا أولادها السبعة، ثمّ بقروا بطنها وأخرجوا الجنين ووضعوه على ذراع أمّه القتيلة..

اغتصبوا عددا كبيرا من النساء في هذا الحيّ قبل أن يقتلوهم ويمدّدوا جثثهنّ العارية على شكل صليب، بنت اغتصبوها من بنات المقداد عمرها ٧ سنوات.. فلسطينية عمرها ١٣ سنة وهي الناجية الوحيدة من عائلتها (قتل والدها والدتها وجدها وكلّ إختوها

وأخواتها) روت لضابط لبناني: سألني أحدهم إذا كنت فلسطينية، قلت نعم، فقال: تريدان احتلال لبنان؟ قلت لا نحن على استعداد للرحيل من هنا، وكان إلى جانبي ابن أختي، وهو رضيع عمره تسعة أشهر، وكان يبكي ويصرخ دون توقّف، ممّا أغضب أحد العناصر الذي قال بعد قليل: "طلع ديني من هذا الصراخ"، وأطلق عليه رصاصة واحدة، أجهشت في البكاء، وقلت له: إنّ هذا الطفل هو كلّ ما بقي من عائلتي، فزاد هياج العنصر، وأمسك بالطفل وفسخه شققتين..

لم يستغرق الجنود الإسرائيليون المتمركزون حول المخيم وقتًا طويلاً ليدركوا أنّ شيئاً غير اعتيادي يحدث فيه، ولكنّ المسؤولين أبلغوهم بأنّ المخيم سيتعرّض لعملية تطهير من الإرهابيين..

وروى مظليّان مشاهدتهما لمراسلي "هآرتس" ميخائيل غارتي وأوزي كرين، عندما وصلا في اليوم التالي إلى مخيم شاتيلا، قال المظليّان: كان بالإمكان وقف المجزرة منذ مساء الخميس، لو أنّهم أخذوا بالاعتبار كلّ ما قلناه ونقلناه لضباطنا"..  
قطعت الكهرباء عن بيروت الغربية، وما إن حلّ الظلام حتّى بدأ الإسرائيليون بإطلاق الصواريخ المضيفة فوق المخيمين من كلّ جانب..

### الجمعة ١٧ أيلول ١٩٨٢ م

عند الفجر تابع الضباط والجنود الإسرائيليون من مراكز المراقبة ما يجري في مخيم شاتيلا بواسطة المناظير، وشاهدوا أكواماً من الجثث، كما شاهدوا الرجال الذين يستعدّ الكتائبون لإعدامهم رمياً بالرصاص..

الليوتنانت غرابوفسكي، الأمر المساعد لإحدى فرق الدبابات قال في إفادته أمام لجنة التحقيق: رأيت كتائبين يقتلون مدنيّين، وقال لي أحدهم: سيولد من النساء الحوامل إرهابيون، وقد أبلغ رؤساءه بذلك.

مداخل المخيمات مسدودة، والجنود الإسرائيليون يحولون دون مغادرة اللاجئيين الذين يحاولون الخروج منها، ويأمرونهم بالعودة إلى الوراء. ومن أكثر الحالات إثارة للدهشة هي حالة مجموعة من ٥٠٠ شخص، كانوا قد لجؤوا إلى باحة مستشفى غزة في مخيم صبرا، ثمّ هرعوا في محاولة للفرار بعد الظهر، حين علموا أنّ رجال الميليشيا يقتحمون المستشفيات ويقتلون ويجرحون ويغتصبون كلّ من يصادفونه، وقد رفع هؤلاء المساكين الرايات البيضاء وجذّوا في السير إلى أن وصلوا إلى كورنيش المزرعة، على الطريق الذي يقطع العاصمة من الشرق إلى الغرب، حيث استوقفهم جنود إسرائيليون، فتقدّم أحدهم وشرح لهم ما يجري، وقال إنّ رجال سعد حدّاد يقتلون كلّ الناس، غير أنّهم تلقّوا الأمر بالعودة إلى المخيم، وعندما أظهروا شيئاً من التردد جاءت دبابة إسرائيلية وصوّبت مدفعها نحوهم وأجبرتهم على الرجوع..

المجزرة مستمرة على أيدي الوحدة التي يأمرها إلياس حبيقة وسعد حدّاد والعناصر الجديدة، والرعب مسيطر على اللاجئيين، ومن تمكّن منهم من الفرار روى أنّه شهد أفعالا بربرية وحشية رهيبية، كما روى كيف كان رجال الميليشيا يتوزّعون في مجموعات تضمّ خمسة أو ستة عناصر أو أكثر أحيانا، ويلحقون اللاجئيين في الشوارع ملاحقة لا هوادة فيها، ويصطادونهم كالطيور، ويخرجون العائلات من مخابنها ويقتلونّها في المكان نفسه، وكيف كانوا يغتصبون النساء ثلاث أو أربع أو خمس مرات على التوالي، ثمّ يقطعون لهنّ نهودهنّ قبل الإجهاز عليهنّ، وفي حين كان رجال الميليشيا قد استعملوا أمس الساطور والفأس والفراعة، فقد لجؤوا اليوم إلى وسائل أسرع بكثير: إطلاق النار..

من حين لآخر كان يقوم رجال يرتدون الزي العسكري بمراقبة أكوام الجثث، فإذا لاحظوا فيها جريحا ما زال يتحرّك قتلوه فوراً، وكثيراً ما كانوا يرسمون بعد ذلك بالسكين صليباً على جثة الضحية..

لم يحاول المهاجمون أبدا التمييز بين الفلسطينيين واللبنانيين..

كلّ الشهادات حول سلوك المهاجمين داخل المخيمين بعد ظهر الجمعة تتفق وتتطابق: العملية مدبرة ومخطّطة ومنفّذة بهدوء أعصاب وبدم بارد. يُستنتج من النقاشات والأحاديث بين الصحفيين الإسرائيليين والأجانب وبين الضباط الكتائبين أنّ النظرية القائلة بأنّ المجزرة وأعمال الهدم والتخريب كانت ثمرة انفجار عفويّ لمشاعر الغضب والثأر بعد اغتيال بشير الجميل، يستنتج من تلك النقاشات أنّ هذه النظرية خاطئة، فكلّ الدلائل تشير إلى أنّ المجزرة كانت متعمدة، وأنّ الغاية منها تحريض الفلسطينيين على الهجرة بكثافة عن بيروت وعن كلّ لبنان..

وسياسة هدم المنازل "بالبلدوزرات" لتشريد سكانها ليست جديدة، فقد سبق واختبرتها "إسرائيل" أكثر من مرّة.. صحيح أنّ هذا البرنامج لم ينفذ، لأنّ الفلسطينيين هذه المرّة على خلاف عام ١٩٤٨ لم يكن لديهم مكان يلجؤون إليه..

السبت ١٨ أيلول ١٩٨٢م

السبت عند الفجر المذبحة مستمرة، وستواصل حتى منتصف الصباح..

الساعة العاشرة عاد الصمت يلفّ المخيمين، لم يعد يُرى فيهما شيء يتحرّك.. وشيئا فشيئا عاد السكّان إلى الظهور.. وعمّت فوضى رهيبية لا توصف عندما راح كلّ واحد يفتش عن أفراد عائلته وسط الانقراض..

تحت بعض الجثث وضع القتلة قنابل يدوية بعد أن نزعوا شكّتها كي تنفجر وتقتل أفراد عائلات الضحايا عندما يأتون لاسترجاع الجثث..

هذه المرّة بدا واضحا أنّ الأمريكيين لا يوقّرون حكومة بيغن، وعلّق صحفيّ إسرائيلي قائلا: "ربّما لأنّهم يشعرون بأنّهم يتحمّلون جزءا من المسؤولية، لأنّهم هم الذين أعطوا الضوء الأخضر لشنّ حرب لبنان، وهذه المجزرة ما هي إلاّ النتيجة التي كان يمكن توقّعها".

ردّا على وزير الداخلية الإسرائيلي جوزف بورغ الذي صرخ: "مسيحيون قتلوا مسلمين أين هي مسؤوليّة اليهود؟" علّق الروائي إرهار سميلانسكي ساخرا: "أفلتتا الأسود الجائعة في الحلبة، فافترتست الناس، إذن الأسود هي المذنبة لأنّها هي التي افترتست، أليس كذلك؟.. من كان يمكنه أن يتصوّر، عندما فتحنا الباب أمام الأسود وتركناها تلجّ إلى الحلبة أنّها ستفتتس الناس!!؟"

في أوساط الجيش يفضلون التزام الصمت، صباح (الاثنين) اجتمعت هيئة الأركان، ونقلوا عن لسان أحد المجتمعين الذي روى ذلك لمراسل جريدة "دافار" لم يخصّص رئيس الأركان إلاّ خمس دقائق "لأحداث صبرا وشاتيلا"، لم يُبدِ أحدٌ أيّة ملاحظة، لم يطرح أحدٌ أيّ سؤال، لم يطلب أحد الكلام..

في هذه الأثناء، وفي نفس اللحظة بالقرب من مقبرة جماعية، كانت امرأة تزرع الأرض ذهابا وإيابا، تمشي وتمشي ولا تتوقف، ١٣ فردا من أفراد عائلتها قتلوا، بينهم طفل عمره ٤ أشهر، أخيرا توقّفت وتربّعت على الأرض، وأخذت تكمش التراب وتهيله على رأسها، وتصرخ: "والآن إلى أين أذهب؟".